

نص كلمة الأستاذ طه باقر

مدير الآثار العام

في حفلة افتتاح المدرسة المستنصرية

سيادة الزعيم الامين
أيها الحفل الكريم

للميلاد) هي أقدم جامعة في العالم ومن أقدم الجامعات ومعاهد العلم العربية الاسلامية التي انشئت في هذا البلد بكثرة في العصر العباسي الزاهر . ولكنها اختفت آثارها من الوجود . ولذلك فالمستنصرية أجل أثر سلم لنا من مآثر مدينة السلام العظيمة التي اشتهرت بقصورها الفخمة ومدارسها الحافلة ومساجدها الجامعة ، وان المدرسة المستنصرية التي استطاعت مديرية الآثار أن تعيدها جزئيا الى سابق عزها فهي مثال واحد من الآثار الشاخصة الكثيرة المنبثة في انحاء هذا القطر الحافل بالامجاد التاريخية . ولكنها تعوزها العناية اللائقة بها . فهي بحاجة ملحة الى الترميم والصيانة . لتكون عنوانا وشاهدا على ماضي هذا الشعب الزاهر . بالاضافة الى ما سطره السياحة الاثرية من موارد مالية على البلد . ولكن اسمحووا لي يا سيادة الزعيم أن اعترف لكم وأشكر اليكم بأن مديرية الآثار لم تستطع أن تقوم بهذا الواجب الخطير على الوجه اللازم بسبب قلة المال

اسمحووا لي يا سيادة الزعيم الامين أن أقدم باسم مديرية الآثار العامة خالص الشكر والامتنان لتشريفكم حفلة افتتاح المدرسة المستنصرية ، الاثر العظيم من آثارنا الخالدة الكثيرة ، وأن اسجل للتاريخ وللاجيال القادمة ما أبدتموه من عناية واهتمام مشكورين في انقاذ هذا الاثر الجليل مما كان يشوهه من تجاوز وسوء استعمال . وانه لحدث تاريخي خليق بالتسجيل أن يتم افتتاح المدرسة المستنصرية ومعارضها على يدكم . وفي أعياد هذه المناسبة السعيدة بعد مرور عامين على ثورة الرابع عشر من تموز العظمى وتأسيس جمهوريتنا العزيزة الخالدة .

سيدي الزعيم : ان المدرسة المستنصرية الشهيرة في التاريخ التي بناها الخليفة العباسي السابع والثلاثون في عام ٦٣١ للهجرة (١٢٣٤

المرصد ونفاده • فمثلا انا بدأنا بصيانة المستنصرية منذ عام ١٩٤٥ ولكننا لم تتمكن من انجاز نصف ما يجب عمله على هذا الاثر النفيس • وهناك العشرات من المشاريع والمواضع الاثرية المهمة التي تستلزم شهرتها التاريخية وأهميتها السياحية وحالتها المتداعية الخطرة الصيانة الفورية • بيد ان الامل وطيد في ان السلطات الوطنية وعلى رأسها

سيادتكم ستمد يد المساعدة وتتلافى هذا النقص في عصرنا الجمهورى الزاهر • بعد أن عادت بغداد الغامرة قبلا عامرة اليوم واستعادت عزتها وكرامتها وشهرتها العلمية وأصبحت عاصمة خطيرة لجمهورية عظيمة الشأن • منذ أن فجرتم ثورة الرابع عشر من تموز • وانطلق هذا البلد العظيم بقيادةكم الامينة يعمل بجهد وقوة لاجلاء مجده وتراثه ومكائنه المرموقة في تاريخ الحضارة البشرية •

يا سيادة الزعيم : ان الذى جرأني على أن أشكو اليكم واسترسل في الاستشهاد بأهمية تراثنا التاريخى هو انتى وجدتكم من الزعماء القليلين فى التاريخ ممن أدرك أهمية التراث الحضارى لهذا البلد فى استنهاض الشعب لبناء حاضره وتوجيه سيره على ضوء التجارب التاريخية التى مرت على شعبنا العراقى ، الذى حفل تاريخه أكثر من أى شعب آخر بالثورات العظيمة والابداعات الخلاقة التى كان لها أبرز أثر فى تقدم الانسان وتوجيه تطوره الحضارى عبر القرون ومنذ أقدم العصور • فقبل أكثر من عشرة آلاف عام • يوم كانت القارات تغط فى سبات الهمجية • همجية العصور الحجرية القديمة وسكنى الكهوف •

اهتدى الانسان فى هذا الوادى المبارك الى الزراعة وتدجين الحيوانات وتشييد القرى وبداية الاستقرار • فقد كشفت التحريات الاثرية الحديثة عن أقدم قرية زراعية فى العالم فى سفوح جبال العراق وهى تمثل لنا بداية ذلك الانقلاب الخطير فى حياة الانسان الذى كان مفتاح الانتقال الى طور الحضارة فيما بعد •

وقد كشف البحث العلمى الحديث عن حقيقة ضخمة اخرى فى تاريخ التقدم البشرى هى ان سكان وادى الرافدين كانوا أول شعب على هذه الكرة الارضية صنع التاريخ ودوته ، يوم توصلوا الى أعظم اختراع فى تاريخ الحضارة ، هو الكتابة التى انتشر استعمالها من العراق الى سائر الشعوب الاخرى فيما بعد • وأعقب ذلك الاختراع بقليل أن قام سكان العراق • قبل خمسة آلاف عام بأخطر تجربة فى حياة البشرية • تلك هى انتقالهم الى طور الحضارة الناضجة يوم وضع أجداد شعب الرابع عشر من تموز اسس العلوم والمعارف والفنون والآداب والشرائع المدونة وأقاموا صرح العمران البشرى وظل التاريخ يصنع فى وادى الرافدين وتتطلق الحركات الفكرية والثورات الاجتماعية فتتحرك تطور التاريخ حقبا مديدة • ولكن قوى داخلية وخارجية اوقفت سير التطور فى الفترات الاخيرة من تاريخ العراق القديم •

ثم دارت عقارب الساعة الكونية دوراتها بالقرون • وفيم كانت القارات يخيم عليها ظلام الجهل والبربرية • اذا بهذا البلد يصبح مرة اخرى مركز الحضارة بعد ثورة العرب الكبرى

بقيادة قائدهم الاعظم النبي محمد (ص) فيسهم وادى الرافدين بالدور الابرز في بناء الحضارة العربية الاسلامية ، اذ المعروف لدى المتبعين للتاريخ ان معظم الحركات الفكرية والفلسفية والثورات الاجتماعية التي ميزت الحضارة العربية الاسلامية انما اختمرت وظهرت في العراق •

وبعد قرون من الازدهار وال عمران يحل الركود والتدهور ويتوالى على العراق حكام غرباء من مغول وتركمان و فرس وترك وفرننج • ولكن قوى التطور والثورة المميزة لهذا الشعب العريق كانت تتجمع وتختمر حتى انفجرت قواه الحبيسة بقيادة زعيمنا عبدالكريم قاسم في تلك الثورة

العامة التي قوضت دعائم الاستعمار ومستلزماته البغيضة من الاقطاع والرجعية ، فاستعاد العراق مكانته الفذة في تاريخ التطور والتقدم •

وان ذلك الرصيد الضخم من التراث الحضارى المتميز بالابداعات الخلاقة وامكانيات بلادنا الاقتصادية والاجتماعية وتوفر القيادة الحكيمة كل هذا وغيره لكفيل للمؤرخ المتبع أن يكون على ثقة من أن شعب الرابع عشر من تموز سيحقق اهداف ثورته ويبنى الحياة الكريمة

الفضلى التى ضحى من اجلها ويستعيد مكاتته

المرموقة فى التاريخ • فيسهم فى بناء الحضارة الحديثة كما فعل أجداده من قبل • وخير ما أفعل فى اختتام كلمتى هو أن استشهد بأحد أقوال زعيمنا الكثيرة فى تمين تراثنا التاريخى وأختار قوله المعروض امام حضراتكم :

« ان هذه البلاد كانت مهد الحضارة فيما مضى وكانت مهد القوة • فهذا التاريخ يشهد ما كان عليه أجدادنا من القوة ومن العلم • ومن هذه البلاد سارت شعلة الحرية وشعلة القوة الى ارجاء البلاد الاخرى • ان هذه البلاد كانت مهد الحضارة وسوف نعيد مجدها عما قريب » •

وفى الختام أكرر باسم متسبى الأثار خالص الشكر والامتنان لسيادتكم لتشجيعنا فى رعايتكم الثمينة لهذا الحفل وأشكر حضرات المدعوين الكرام لحضورهم • ولنا وطيد الأمل فى اننا ستمكن من اكمال صيانة الاقسام الباقية من المدرسة المستنصرية ونقوم بصيانة المواضع الاثرية الاخرى المنبثة فى ارجاء الجمهورية بعد توفر المال اللازم لهذه الاغراض العلمية •

٢٤ محرم ١٣٨٠

١٩ تموز ١٩٦٠

طه باقر
مدير الآثار العام